خصوصية الاستعمال الأسلوبي عند امرئ القيس(الفاء) في معمولي (بين) أنموذجا

م.د. نصير خلف عباس القرشي

كلية التربية للعلوم الصرفة

جامعة واسط

naseer.abbas@uowasit.edu.iq

009647706917711

تاريخ الاستلام : 2021-01-09

تاريخ القبول : 2021-02-28

ملخص البحث

تناول هذا البحث واحدة من الظواهر الأسلوبية في شعر امرئ القيس، وكانت في استعمال حرف العطف (الفاء)، الذي يفيد الترتيب والتعقيب، للربط بين معمولي (بين)، وهي حالة خاصة، ومخالفة لرأي المشهور؛ لذلك ذهبنا تجاه قراءة دقيقة، وتوصلنا الى غاية امرئ القيس من وراء ذلك؛ فكان القصد منها أن يضع أدلة للمتلقي ترشده الى المكان الذي تأسست عليه مقدمة المعلقة الطللية، بطريقة ذكية تنقله من الأماكن العامة إلى الخاصة حتى تنتهي به الى هدف الشاعر، وبذلك يكون الترتيب والتعقيب وسيلة؛ لربط الموضع بالآخر بشكل مباشر، من دون فواصل زمنية.

الكلمات المفتاحية: امرؤ القيس، الأسلوب، بين، الفاء، دلالة، الترتيب، التعقيب، المكان، الزمان، الخاص، العام.

The Peculiarity of the Stylistic Use of the Person of Measurement (Fulfillment) in my co-workers (Ben) as a Model

M.D. Naseer Khalaf Abbas al-Qurashi

Receipt date: 2021-01-09
Date of acceptance: 2021-02-28

Abstract

This research deals with one of the stylistic phenomena in the poetry of Emri al-Qais, and it was in the use of the conjunctive letter (Fa), which is the arrangement and the date, which is a special case, and contrary to the opinion of the famous. So we went to an accurate reading, and we came to the goal of a man of measure from that. It was intended to place clues for the recipient in the place that was presented with the suspended introduction, in a smart way that moves him from public places until the end of the Special ring that connects them to each other, and this arrangement and arrangement to link the position to the other directly, without interval.

Key words Imru 'al-Qais, the style, between, the fulfillment, the indication, the arrangement, the comment, the place, the time, the particular, the general.

المقدمة:

يحق لأي شاعر أن تكون له خصوصية في الاستعمال اللغوي أو الأسلوبي، ولاسيما إذا كان ينتمي الى عصر التأسيس، والقراءة الدقيقة تكشف عن قصد غير معلن، وتشير الى وجود نسق من الدلالات، تشكل في النهاية داعما أساسيا في رسم الصورة الكلية للمعنى؛ وقد يحتاج هذا الى استنطاق كل حرف في البناء اللغوي للنص، لنقف على وظيفة مهمة يؤسس لها الشاعر، من طريق طبيعة الاستعمال الشائع، والتوظيف الخاص، والعلاقة بينهما؛ لنخرج بصناعة دلالة جديدة تضاف الى الوجوه الموروثة في المعاجم اللغوية.

لا يوجد –في قناعاتنا– أسلوب لشاعر من شعراء الجاهلية استعمله اعتباطا أو من دون قصد، ولاسيما عند الشعراء الأوائل، الذين أسسوا مبادئ الشعر وأصول هذا الفن، بطريقة قد تبدو شبيهة بالإلهام؛ لذلك يجدر بنا الوقوف على كلِّ غريب في أساليبهم، ومتابعة استعمالاتهم اللغوية والأسلوبية وخاصة تلك التي شطت عن طريقة العرب، وتفرد بها أصحابها.

يتناول هذا البحث استعمالا أسلوبيا أورده امرؤ القيس في موضع تفرد به. وذلك حين ربط معمولي (بين) بحرف العطف (الفاء). وقد أدلى مجموعة من الشراح والنقاد دلاءهم، وقالوا ما يعتقدون به، وما استندوا إليه من آراء لغوية، ولكن تلك الآراء لم تعطِ الموضوع ما يستحقه، ولم تكشف كلَّ الدلالات المحتملة في الموضوع؛ لذلك نعتقد أنَّ هذا الموضوع مكتنز بجملة من المقاصد المتنوعة، والسعي وراء استجلائها لا يفسد المعنى العام، بل يشكل إضافة الى قيمة المعلقة، ويعمق التفكير في معلقة الملك الضّليل، ونتاجه المحقون بالمعاني والدلالات.

ابتدأ البحث بعرض مجموعة من الآراء التي وردت في شروح ديوان امرئ القيس، وشروح المعلقات، وبعض الكتب المهتمة بالمعلقة، والتعليق عليها، ومن ثم إبداء وجهة نظر الباحث في ثلاث فقرات؛ الأولى: تتعلق بالمعنى الشائع لحرف العطف (الفاء)، وهو الترتيب والتعقيب، وأهمية حضوره دون حرف ربط آخر. والثانية: قيمة حرف الفاء في اتساع المعنى، وزيادة الدلالات.

وأما الفقرة الثالثة فقد كانت في دلالة الفاء وأثرها في ثيمة الزمان والمكان.

ولقد استقرت بعض الآراء النقدية منها، وغير النقدية (القيرواني، 1981: 1/41-42، 94-102، والسيوطي: 2/478-485) على أنَّ امرأ القيس أمير عصره في الشعر، ومؤسس طريقة الشعر الجاهلي إذا ما تجاوزنا إشاراته الى ابن حذام؛ لذلك فلا يمكن أن نغفل أي أسلوب تكرر في قصائده. وحين نطالع مطلع المعلقة:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

(أبو سويلم، الشوابكة، 2000: 164) نقف على أسلوب جدلي اختاره امرؤ القيس بطريقة مبتكرة، تفضي الى قصد غير معلن؛ فتحتاج الى قراءة تكشف الستار عن نواياه الخفية، وتظهر الغاية من وراء استعمال دون آخر، وتحتاج أيضا، الى القراءات السابقة، التي وردت في هذا السياق، وقالت رأيها، بحسب قناعاتها أو مستندة الى بعض الموروث في هذا الشأن.

يذهب أبو جعفر النحاس الى رفض حرف الفاء بوصفه الرابط بين الموضعين، ويعمد الى التأويل فيما له علاقة بحرف الفاء، وهما الموضوعان. فيقول: "لأنه لا يجوز أن تقول: زيد بين عمروٍ فخالدٍ لأنَّ بين إنَّما تقع معها الواو لأنك إذا قلت: المال بين زيدٍ وعمروٍ فقد احتويا عليه، فهذا موضع الواو؛ لأنَّها للاجتماع، فإن جئت بالفاء وقع التفرق فلم يجز، وعلى هذا كان الأصمعي يرويه: بين الدخول وحومل، وأما الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأن هذا ليس بمنزلة قولك: المالُ بينَ زيدٍ وعمروٍ لأن الدخول موضع يشتمل على مواضع، فلو قلت: عبد الله بين الدخول، تريد بين مواضع الدخول لتمَّ الكلام، كما تقول: دربنا بين مصر، تريد بين أهل مصر، فعلى هذا قوله: بين الدخول ثم عطف بالفاء وأراد بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل، ولم يرد موضعا بين الدخول فحومل" (النحاس، 1973: 99-100).

قد يكون الكلام سابقا لأوانه إذا فصَّلنا القول في وجهة نظرنا؛ ولكن النحاس ذهب الى آخر الاحتمالات، فقطع الطريق على نفسه في عدم الجواز؛ ليخرج من جدلية الأسلوب، ومن ثم يلتمس العذر لمن رواه بالفاء في إمكانية التأويل على أن يكون القصد منها بين مواضع الدخول ومواضع حومل.

واكتفى بعضهم في التعريف بالدخول والحومل. يقول حسن السندوبي: "والدخول والحومل: قيل إنَّهما موضعان في شرقي اليمامة" (السندوبي، نيمنه، 1990: 164)

والسندوبي غير متأكد من كون الدخول والحومل موضعين على حد تعبيره (قيل)، التي تدل على التضعيف أو التشكيك؛ وفي المقابل أنَّه لم يكلف نفسه في البحث عنهما في كتب البلدان ومعاجمها واكتفى بالتسليم بما أورده ابن عساكر في هذا الموضوع؛ فيقول: "وذكر ابن عساكر في تاريخه أن امرأ القيس كان في أعمال دمشق، وأن (سقط اللوى) و(الدخول والحومل) و(توضح والمقراة) الواردة في مطلع معلقته إنما هي أسماء أماكن معروفة بحوران ونواحيها. قلت ولا عجب في ذلك فقد كانت بلاد الشام من أعمال الروم في الجاهلية، وابن عساكر أدرى ببلاده التي أرخها ووصفها في تاريخه العظيم الذي لم يوضع مثله" (السندوبي، نيمنه، 1990: 165). أضف الى ذلك –وهو الأهم في مورده– أنّ السندوبي لم يكن منهجه التحليل، بل ركَّز اهتمامه على شرح معاني الكلمات في الأبيات الشعرية، وموضوع الفاء الرابطة بين الدخول وحومل هو أقرب للتحليل منه الى شرح معاني الكلمات.

"ذهب بعضهم الى أن الفاء قد تأتي، لمطلق الجمع، كالواو. وقال به الجرمي في الأماكن والمطر خاصة. كقولهم: عفا مكان كذا فمكان كذا، وإن كان عفاؤهما في وقت واحد. قال امرؤ القيس:

بسقط اللوى بين الدخولِ فحومِلِ

وقال النابغة:

عَفا ذو حُسىً مِن فَرتَني فَالفَوارِعُ فَجَنبا أَريكٍ فَالتِلاعُ الدَوافِـــعُ

وقد اتضح، بما ذكرته من هذه الأقوال، أنّ ما نقله بعضهم، من الإجماع على أن الفاء للتعقيب غير صحيح" (المرادي، 1992: 63).

لا ينبغي للجرمي القطع برأيه؛ فما نقله في الفاء انفرد به، ولم يشاركه أحد في هذا الرأي، وهل يمكن القطع بحكم، بناءً على قول شخص واحد؟! ولاسيما إذا كان الموضوع محكوما بالاستدلال عليه، والإتيان بشواهد، تعزز مذهبه في الموضوع.

إنَّ الشواهد التي استدل بها الجرمي على رأيه اثنان؛ الأول: يعود الى امرئ القيس، ولنا فيه كلام كثير، قد يكون الحديث عنه الآن سابقا لمقامه. وأما الثاني: فنحن نعتقد بأن شعر امرئ القيس كان يمثل سلطة معرفية، في قوانينه، وتقاليده على الشعراء

الآخرين (القيرواني، 1981: 94/1-102)، ومن الطبيعي أن نجد أثره في قصائد الشعراء الجاهليين؛ لذلك لا نستطيع أن نعد بيت النابغة شاهدا يعزز رأي الجرمي، وإذا سلمنا جدلا بانفصال بيت النابعة عن بيت امرئ القيس وتخلي الأول من تبعيته للأخير؛ فهل يستطيع شاهدان أن يبددا رأيا، أجمع عليه كثير من العلماء، حتى أصبح المشهور في معاملة ذلك الحرف؟

ويورد المرادي نصا آخر، يتحدث عن الفاء الرابطة. يقول: "والثاني عطف، لمجرد المشاركة في الحكم، بحيث يحسن الواو. كقول امرئ القيس:

بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ

وسمّى غيره هذا ترتيبا في اللفظ؛ قال: ومراد الشاعر وقوع الفعل بتلك المواضع، وترتيب اللفظ واحدا بعد آخر بالفاء ترتيبا لفظيا" (المرادي، 1992: 64).

إذا كانت الفاء لمجرد المشاركة، ويحسن الواو بدلا عنها، فلم استعمل امرؤ القيس الفاء؟ وهو السؤال، الذي سنجيب عليه، فيما بعد.

وإذا كان ثمة ترتيب في الألفاظ فحسب، فما الذي أجبر امرأ القيس، على أن يأتي الترتيب، بهذا الشكل، ولم يكن على شكل آخر؟

يقول الفراء: "ولا تصلح الفاء مكان الواو فيما لا تصلح فيه إلى؛ كقولك: دار فلان بين الحيرة فالكوفة؛ محال. وجلست بين عبد الله فزيدٍ؛ محال، إلا أن يكون مقعدك آخذا للفضاء الذي بينهما" (الفراء، 1983: 22/1)

يقع الجواز، في هذا الأسلوب –بحسب رأي الفراء– أي أنَّ المتكلم يستطيع أن يبدل الواو فاءً، إذا قصد ملء المكان الواقع بين معمولي بين؛ وهو ما يمكن أن نسميه تحديد المكان بصرف النظر عن مساحته؛ لأنَّ امرأ القيس يتمم إشاراته المرورية تباعا حتى يصل بالمتلقي إلى ما يريد.

وقال الرياشي: "لا يكون في الكلام بين الدخول فحومل ولا يقال: رأيتك بين زيد فعمرو" (أبو سويلم، والشوابكة، 2000: 166-167)

وكأن الرياشي يقف في جانب واحد في موضوع الرواية، ويعد ما كان مخالفا لقناعته اللغوية غير موجود؛ لذلك لا يعترف بما جاء في الروايات الأخرى؛ فإذا كان النص غريبا على اعتقاداته اللغوية، فهل يصح نسفه؟!

والأدباء هم صناع اللغة والأساليب، وحين أراد العلماء جمع اللغة، كان الأدب من اختياراتهم التي تقف في الصدارة؛ بل لها الأولوية في إقامة الحجة.

يقول أبو بكر عاصم بن أيوب: "وأما من رواه بالفاء فإنَّه جعل الدخول اسم مكان يشتمل على منازل مفترقة تكتفي به بين كأنَّه إذا قال بين الدخول أراد بين منازل الدخول فيكون الكلام مكتفيا فيجوز له حينئذ أن ينسق بما شاء من حروف النسق كما يقول نزلنا بين بغداد فالكوفة ويجوز أن تكون الفاء بمعنى الى فيكون المعنى أن سقط اللوى ما بين الدخول الى حومل كما تقول هي أحسن الناس قرنا فقدما يريدون ما بين قرن الى قدم" (ابن أيوب، 1906: 19).

وإذا سلمنا جدلا بتأويل أبي بكر، في أنَّ امرأ القيس أراد من (الدخول) منازل الدخول؛ لأن ذلك لا يضر بدلالة الفاء، مثلما أوردها امرؤ القيس، كما أنه لا يقوض ما نعتقد؛ ولكن ثمة سؤال مهم بهذا الصدد، ما الذي دفع امرأ القيس بهذا الاتجاه؟ أي ما الذي دفعه لاختيار الفاء بدل الواو، أو بدل الحروف الأخرى؟ حتى أنزل نفسه منزلة المخالف للرأي اللغوي العام بحسب ما يعتقد بعض علماء العربية.

ورد في المعلقات العشر وأخبار شعرائها شرحا على قوله: (بين الدخول فحومل): "وقد صحت رواية الفاء وإن كانت رواية الواو أشهر، قال ((ابن السكيت)): إن رواية الفاء على حذف مضاف، والتقدير: بين أهل الدخول فحومل. وقال ((ابن خطاب)): إنَّه على اعتبار التعدد حكما، والتقدير بين أماكن الدخول فحومل، وهما موضعان" (الشنقيطي، 2005: 23)

وقد لا نريد من بعض الشراح –أحيانا– أكثر من الإقرار بصحة مورد الفاء في قول امرئ القيس.

لا توجد قرينة واحدة على أن امرأ القيس كان يريد من تلك المواضع أهلها؛ بل على العكس من ذلك، إنَّه يركز اهتمامه على المواضع فقط، بدليل قوله: **فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها**... التي ترتبط مباشرة بالمواضع السابقة.

وأما قول خطاب وإن كان لا يضر بالفكرة العامة لوجود الفاء دون سواها فإنَّه يتقاطع مع الدقة التي كان ينشدها امرؤ القيس.

يقول الزوزني: "الدخول وحومل: موضعان" (الزوزني، 2004: 18)

في الوقت الذي نرى فيه الزوزني مهتما –من الدرجة الأولى– في تفاصيل المعلقات، ولاسيما ما كان منها جدليا، ولكننا لا نلحظ اهتمامه يسري على موضع (بين الدخول فحومل)؛ فهل رأى ذلك استعمالا طبيعيا؟ وإذا كان كذلك؟ فهو ليس جديرا بالاهتمام؛ أو أنَّه يراه استعمالا مثيرا للجدل، وقد اكتفى بآراء الشراح الآخرين على الرغم من أنَّه لم يذكر رايا واحدا حول الموضوع!!

وأما التبريزي فيقول: "دخول: موضع، وحومل: موضع آخر. وكان الأصمعي يرويه (بين الدخول وحومل) ويقول: ولا يقال المال بين زيد فعمرو، وإنَّما يقال: بين زيد وعمرو، ومن رواه (فحومل) بالفاء يقول: إنَّ الدخول موضع يشمل على مواضع، وكذلك حومل، فلو قلت: عبد الله بين الدخول –تريد بين مواضع الدخول– تم الكلام، كما تقول: دورنا بين مصر، تريد بين أهل مصر، فعلى هذا عطف بالفاء، وأراد بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل" (التبريزي: 50).

يقف التبريزي موقفا محايدا، لا يبدي فيه رأيا خاصا، ويكتفي بعرض رأي الفريقين؛ فلا يرجح أيهما أقرب الى قناعته. فأمَّا أنَّ أصحاب الروايتين لم يتركا له –بحسب رأيه– رأيا يدلي به، أو أنَّه لا يعتقد بقيمة الموضوع؛ وسواء أقال شيئا أم لم يقل لا يقدم بإزاء استعمال امرئ القيس تحليلا ذا قيمة نقدية.

وأما أبو زيد القرشي فيقول: "والدخول وحومل: موضعان شرقي اليمامة" (القرشي، 1981: 114)

ولا نستغرب من أبي زيد القرشي عدم التعليق على (بين الدخول فحومل)؛ إذ لم يكن منهجه التحليل، أو تعليل الظواهر اللافتة للنظر، أو قد يكون مورد الفاء طبيعيا؛ لذلك فهو لا يثير حفيظة القرشي حتى يعلل وروده.

ويقول محمد أبو الفضل إبراهيم: "والدخول وحومل: بلدان" (إبراهيم: 8).

يلفت انتباهنا شيئان في شرح محمد أبو الفضل؛ الأول: أنَّه يكتفي برواية الأصمعي، من غير التعليق على هذا المقام بشيء يذكر، غير أنَّهما بلدان. وأمَّا الثاني: فإنَّه لم يعرج على أي رأي قيل في هذين الموضعين؛ والأغرب من ذلك أنَّه لم يورد رأي الأصمعي فيهما، ولاسيما أنَّ الأصمعي يمثِّل اتجاها آخر في رواية مطلع المعلقة، وقد انفرد بذلك، ومحمد أبو الفضل يتبنَّى صحة تلك الرواية.

أمَّا ما نراه في هذا الموضع فيتلخص في ثلاث فقرات:

1- تمثِّل الفاء في ذلك الموضع دلالتها بشكل مباشر؛ أي أنَّها تحمل دلالة الترتيب والتعقيب، والغاية من وراء ذلك جملة من الأمور؛ منها: أنَّ امرأ القيس رسم خارطة طريقة للمتلقي؛ لكي لا تضيع تلك الأماكن في ذاكرة الإنسان عبر الزمن، وتفقد شخوصها الأصليين، ولاسيما أنَّها أماكن قد تختفي فيها آثار الإنسان، وتستمر حياتها بوجودها، ووصفها، الذي يكبر على سكانها؛ فهي أكبر من أن تعرف بشخص، أو قبيلة، ولا يخلد ذكر صاحبها إلا بطريق ينطوي على ماضٍ موصوف، وتمييز يتفرد دون معالم الطبيعة الأخرى.

ومن تلك الأمور أيضا صناعة المجد (الأسد، 1988، 109)، التي تتطلب دليلا، يشير الى صانعه بوضوح، ولعل ذلك قوامه مجموعة من الأسس التي يقوم عليها ذلك المجد، ومنها المكان، وبالخصوص في بيئة تعده واحدا من الأشياء التي يعذر الإنسان معه إذا ما هانت عليه روحه من أجلها؛ والمكان فضاء مفتوح، لا ينال الشاعر منه مبتغاه إلا بالدقة، التي تمنحه خصوصية معينة.

تلك الأماكن ذاكرة محفورة في أذهان المتلقين وإن تباعدت أزمانهم عن زمن القصيدة؛ لأنَّها ارتبطت بالشعر، وأي شعر يخلد مثل شعر الطليعة الأولى، ولاسيما معلقة الملك الضليل.

لقد أعاد امرؤ القيس صناعة المكان بطريقة لا يمكن لمكان آخر أن يتساوى معه، وإن تجاورا؛ وهذا ميلاد جديد، ابتدأ بالتحديد الدقيق، والاهتمام البالغ، قصدا منه في تخليد ذكراه المتجذرة في الوطن.

ومن تلك الأمور أنَّه لا يُستبعد أن امرأ القيس قصد ذلك التوصيف الدقيق للمكان إيمانا منه بأنَّ المتلقي ذو أهمية كبيرة في أمرين؛ الأول: أن الشعر رسالة الى الناس على اختلافهم (ابن قتيبة: 17-18)، يبثه الشاعر بأوعية جميلة، وقوالب سلسة تناسب طبيعة الذوق العام، وتتجه صوب الناس في طريق يشترك فيه العامة والخاصة على حد سواء؛ لتطرق الباب الألطف والأجمل، وهو الشعور والإحساس بالجمال، ولكي يفهمه الجميع على الشاعر أن يكون صريحا معهم في الجوانب التي تعزز عملية التواصل بشكل شفاف.

وأمَّا الأمر الثاني: فإنَّ امرأ القيس ذاهب في ذلك تجاه الواقعية، التي تشكل سمة بارزة في الشعر الجاهلي (العلوي، 1982: 15)، ومن أهم أسسها الدقة في التعبير، وعملية التواصل مع المتلقي تتطلب تلك الأدلة الواضحة، وعلامات الطريق البينة؛ ليبقى جسر التواصل بين طرفي الصناعة الشعرية قائما، وبذلك فإنَّ امرأ القيس عازم على أن يأخذ بيد المتلقي ليدله على دار الأحبة

بشكل دقيق، وألا يتركه في حيرة أو إرباك في محاولة الوصول الى قصد الشاعر؛ ولاسيما أنَّ المجتمع الجاهلي كان يشيع فيه تشابه كبير في الأسماء، والألقاب، والكنى، في الوقت الذي يفتقر الى أي تنظيم يميز بين أحد وآخر.

أو قد يكون الموضوع يتعلق بشخص المحبوبة؛ ففي الوقت الذي يشيع اسم محبوبة أي شاعر في شعره، إلا أننا غير قادرين على تحديد محبوبته بدقة، وهذه المشكلة تمثل مشتركا بين الشعراء؛ فنحن لا نجد في شعرهم سوى أسماء نساء؛ فقد أورد امرؤ القيس عشرين اسما، كلها عارية من الآباء والألقاب، وخمس كنى، واثنين فقط يحملن ألقابا، وهذا يرجعنا الى الفقرة السابقة؛ إذ لا مناص من تشابه الأسماء*، ومن ثَمَّ ننتهي الى النتيجة نفسها، وهي أننا أمام عدد من النساء تحمل الاسم نفسه، ولا نستطيع تحديد من منهن كانت قصد الشاعر، وربما نقع في خلط أكبر حين نجد اسم امرأة يتكرر عند أكثر من شاعر؛ فلا نعرف هل هو اسم لامرأة واحدة، أم أنهن عدة نساء، وورد تشابه أسماء؟

تقدم كلامنا فيما إذا كنا سلمنا بأن تلك الأسماء كانت حقيقية؛ أي أنَّها أسماء نساء موجودة فعلا، أما إذا كانت رمزية؟ فتصبح الحاجة الى أدلة الشاعر ضعفين، وعلامات الطريق ضرورية جدا؛ لأنَّنا نعتقد بأنَّ الشاعر يحاول من طريق الأدلة والعلامات أن يمنح المتلقي قسطا من المعرفة في فرصة العثور أو الاستدلال على محبوبته التي تختفي وراء رموز الشاعر وكلماته المشفرة.

وفيما يرتبط بالمذهب السابق، أي أنَّ تلك الأسماء، لها دواع رمزية، نرى أنَّنا أمام خرائط طرق متعددة، وأسماء أماكن كثيرة، قد تتعدد بتعدد المقدمات في القصائد عند الشاعر الواحد، ولا ريب في ذلك؛ إذ لكل مكان طبيعة مختلفة، ومحيط خاص؛ لذلك فالتنوع في الأماكن والاختلاف في أسمائها بين قصيدة وأخرى أمر صحي، مرجعه يتعلق بحال الإنسان الجاهلي المتغيرة، واختلاف سكنه بين حين وآخر.

2- الانتقال من العام الى الخاص: ونقصد به الانتقال من العلامات الطبيعية العامة كالصحارى والجبال والأودية والهضاب وغيرها، الى معالم الصناعة البشرية وما يدخل تحت عنوانها من آبار وقرى، أو أي شيء أوجده الإنسان على نحو يسهم في استمراريته وديمومته.

* يشترك عدد من الشعراء في إيراد أسماء نساء متشابهة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: فاطمة؛ ينظر: ديوان امرئ القيس وملحقاته: 192، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى: 56، وديوان بشر بن ابي خازم: 31؛ وليلى؛ ينظر ديوان امرئ القيس وملحقاته: 594، 600، 704، 721، وديوان الاعشى الكبير: 45، 93، 189، 223، وديوان بشر بن ابي خازم: 49، 80، 82، 186، وشرح ديوان زهير بن ابي سلمى: 193، 208، 260، 321؛ وسلمى؛ ينظر: ديوان امرئ القيس وملحقاته: 309، 310، 312، 335، 607، 666، 667، 680، 722، وديوان الاعشى الكبير: 251، 285، وديوان بشر بن أبي خازم: 1، 13، 20، 43، 100، 110، 157، 158، 161، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى: 96، 124، 209، 269، 279، 292، 321، 346.

يقول الأصمعي: "اللّوى منقطع الرملة؛ يقال قد ألويتم فانزلوا، وذلك إذا بلغوا لوى الرمل" (ابن منظور، 1999: 368/12)، وهذه نقطة الانطلاق التي حددها امرؤ القيس، "حيث يسترق الرمل فتخرج منه الى الجدد" (الانباري: 19)، والجدد هو ما استوى من الأرض، وخلا من الجبال والاكمة ولا حدب فيه ولا وعوثة، وكان واسعا قليل السعة (ابن منظور، 1999: 200/2).

وقد ذكر الحموي في معجمه أنَّ الدخول اسم واد بأرض اليمامة، أو أنَّها بئر، ونقل عن بعضهم أنَّها من مياه بني كلاب أو بني العجلان (الحموي، 1977: 445/2)؛ وقيل إنَّهما بلدان (البغدادي، 1983: 19/11، إبراهيم: 8)، وقال آخرون إنَّهما موضعان (الزوزني، 2004، 18، النحاس، 1973: 98/1، الانباري: 19، أبو سويلم، والشوابكة، 2000: 165)، وربما ذهب رأي آخر الى أن الدخول وحومل جبلان (https://www.okaz.com.sa/article/259751).

وأما توضح والمقراة فقد ذُكرا بأنَّهما موضعان في أثناء الحديث عن الدخول وحومل، وقد ورد معنى خاص يحيط بحضورهما مثلما ذكر البغدادي أنَّ المقراة "الحوض الذي يجتمع فيه الماء" (البغدادي، 1983: 19/11)، وقال عن توضح إنها "من حمى ضريَّة" (البغدادي، 1983: 19/11).

نلاحظ مما تقدم مع الاهتمام بأي رأي يقال أنَّنا أمام مجموعة من الأماكن المتنوعة ابتداءً بسقط اللوى الذي جلب معه تصورا عن طبيعة المكان وما ينتمي إليه؛ ويشكل هذا المكان حدا فاصلا بين نقطتين، كلاهما يصدق عليه العمومية؛ الأول: الصحراء، إذ تشكل نقطة دلالة عامة بحجم سعتها وامتدادها، قياسا بغيرها.

وأمَّا الثاني فهو الأرض المستوية والصلبة، أو ما يسمى بالجدد، وهو ما عُبِّر عنه بمنقطع الرملة؛ وهذا المكان لا يقل عمومية عن الصحراء –وإن ضاقت مساحته مقايسة بها–؛ إذ تشكل المواضع الأخرى (الدخول وحومل وتوضح والمقراة) جزءا منه؛ فقد تقدم الكلام في الآراء التي قيلت في الدخول وحومل، وكان بعضها ذا طابع عام؛ ولكن هذا لا يخرجهما من الخصوصية بالانتساب الى عموم آخر (الأرض الصلبة).

وإذا انتقلنا الى الموضوعين الأخيرين (توضح والمقراة)، فإننا أمام خصوصية أكبر؛ لأنَّ امرأ القيس قد وصل الى المكان الذي يريده محطة المتلقي الأخيرة، وهو الأكثر خصوصية من بين الأماكن التي ذكرها؛ لذلك سلك طريقا آخر في أن يعمق ذاكرة المتلقي تجاه المكان الأخير، وهو طريق التوصيف، والإشارة الى العلامات الطارئة:

تَرَى بَـعَرَ الأَرْآمِ فِـي عَرَصَاتِهَـا وَقِيْـعَـانِـهَـا كَـأَنَّـهُ حَـبُّ فُـلْـفُـلِ

(أبو سويلم، والشوابكة، 2000: 171) والخلاصة مما تقدم أنَّ الفاء لعبت دورا أساسيا ومهما بالتحول في الأماكن، وعززت نقطة البداية التي حددها امرؤ القيس، وواصلت التنقل بينها بشكل لا يفتقر الى أدنى شيء من الدقة، وهذا ما كان يصبو إليه الشاعر، وظل حريصا عليه من طريق اختياره للرابط بين الأماكن المتعددة والمتنوعة.

3- الشد الزماني والمكاني: حين نرى الفاء في محل ينبغي أن يكون موضعا لحرف ربط آخر -بحسب رأي النحاة- فإنَّنا أمام دلالة مقصودة، تضع المتلقي في حلبة المكان، التي أحكم امرؤ القيس غلقها بخارطة طريق، يستبعد عنها كل محطة لا علاقة لهدف الشاعر بها، ولا تدع مجالا إلَّا مع الاستمرار حتى النهاية؛ لذلك انسحب ذلك الترابط المكاني المتناهي الى تماسك زمني، يجدد معه امرؤ القيس إصراره على تضييق الفجوات الى حد التلاشي، والاختفاء في ساحة الوصف؛ فاختفت الفواصل الزمنية في تحركات المكان، ولا يمكن العثور على أيَّة مساحة مهما صغر حجمها؛ لتشكل فضلة في ذلك الفضاء؛ وهذا الشد يبرر لنا خصوصية الاستعمال، وتعمد اختيار الفاء لا غيرها.

الخاتمة

لا شك أنَّ الموضوع لا يقل أهمية عن أي موضوع آخر، ولكنه لم يلق اهتماما نقديا يناسب قصدية الشاعر بحسب ما نعتقد؛ لذلك جاءت آراء من وجدوا فيه طعما مختلفا سطحية وعابرة، لا تقدم تعليلا ناضجا يرقى الى مستوى المقاربة النقدية أو الفحص اللغوي الدقيق.

تشير طبيعة الاستعمال الأسلوبي الى مقدرة امرئ القيس في تخطي المألوف؛ لاستبطان مزيدا من الدلالات، التي تفرض خصوصية في الفحص والنقد؛ لتتسنى للمعاينة أن تأخذ طريقها نحو إبداع في فهم النصوص واستنطاق ظواهرها؛ لتتجلى مكنوناتها.

ثمة ثلاث دلالات تسكن استعمال امرئ القيس؛ الأولى: دلالة تكشف الهوية الشخصية بوصفها مقصدا واقعيا أو وجودا فنيا.

ودلالة لا تتخطى الموروث في معنى حرف الفاء، الذي يفيد الترتيب والتعقيب، وظفه بشكل لا يضل معه المتلقي أبدا، من طريق علامات إرشادية ارتبط بعضها ببعض.

وأما الدلالة الثالثة فقد استلزم الاستعمال الأسلوبي لحرف الفاء، أن يحمل معه حتمية الموالاة في التنقل بين الأماكن المشار إليها في النص الشعري، دون اللجوء الى فاصل زمني يصنع لونا من التراخي.

المصادر والمراجع

- https://www.okaz.com.sa/article/259751
- ابن قتيبة. (د.ت). تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، (د.ط)، المكتبة العلمية.
- القرشي، أبو زيد محمد بن خطاب. (1981). جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام؛ ت: علي محمد البجاوي، (د.ط)، نهضة مصر.

- المرادي، الحسن بن قاسم. (1992). الجنى الداني في حروف المعاني، ت: د. فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1983). خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، ت: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- حسين، د. محمد. (د.ت). ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، (د.ط) مكتبة الآداب بالجماميز.
- أبو سويلم، د. أنور عليان، والشوابكة، د. محمد علي. (2000). ديوان امرئ القيس وملحقاته؛ الطبعة الاولى، مركز زايد للتراث والتاريخ.
- إبراهيم، محمد أبو الفضل. (د.ت). ديوان امرئ القيس، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
- حسن، د. عزة. (1960). ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي، (د.ط)، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. (1973). شرح القصائد التسع المشهورات، ت: أحمد خطاب، (د.ط) دار الحرية للطباعة، بغداد.
- الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم. (د.ت). شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت: عبد السلام محمد هارون، الطبع الخامسة، دار المعارف، القاهرة.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني. (د.ت). شرح القصائد العشر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط) مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- الزوزني، القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد. (2004). شرح المعلقات السبع، تقديم: عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- السندوبي، حسن، ونيمنه، أسامة صلاح الدين. (1990). شرح ديوان امرئ القيس ويليه أخبار المراقسة وأشعارهم وأخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام؛ الطبعة الاولى، دار احياء العلوم، بيروت.

- بن أيوب، الوزير أبو بكر بن عاصم. (1906). شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحرث الشهير بامرئ القيس بن حجر الكندي، (د.ط)، المطبعة الهندية، مصر.
- ثعلب، الامام أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني. (1964). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، (د.ط) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1964.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- العلوي، محمد أحمد بن طباطبا. (1982). عيار الشعر، ت: عباس عبد الساتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن منظور. (1999). لسان العرب، ت: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- السيوطي، العلامة عبد الرحمن جلال الدين. (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، الطبعة الثالثة، دار التراث، القاهرة.
- الأسد، د. ناصر الدين. (1988). مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة السابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. (1983). معاني القرآن، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت.
- الحموي، الشيخ الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (1977). معجم البلدان، (د.ط)، دار صادر، بيروت.
- الشنقيطي، الشيخ أحمد الأمين. (2005). المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ت: محمد عبد القادر الفاضلي، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- https://www.okaz.com.sa/article/259751.
- Abu Sweilem, Dr. Anwar Alyan, and Shawabkeh, d. Mohamed Ali. (2000). The office of Imru 'al-Qais and its annexes; First edition, Zayed Center for Heritage and History.
- Al-Alawi, Muhammad Ahmad Ibn Tabataba. (1982). Caliber Poetry, Tel: Abbas Abd Al-Sater, First Edition, Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut, Lebanon.
- Al-Anbari, Abu Bakr Muhammad bin Al-Qasim. (Dt). Explanation of the seven long pre-Islamic poems, T: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Fifth Edition, Dar al-Maarif, Cairo.
- Al-Assad, Dr. Naser El Deen "as name religion victorious. (1988). Sources of pre-Islamic poetry and their historical value, seventh edition, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon.
- Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar. (1983). Treasury of Literature and Pulp to Bab Lisan Al Arab, T: Abd Al Salam Muhammad Haroun, First Edition, Al-Khanji Library, Cairo.
- Al-Hamwi, Sheikh Imam Shihab al-Din Abu Abdullah Yakut bin Abdullah. (1977). Dictionary of the Countries, (d. I), Dar Sader, Beirut.
- Al-Mouradi, Al-Hassan bin Qasim. (1992). The proximal genie in the letters of meanings, T: d. Fakhr al-Din Qabawah and Muhammad Nadim Fadel, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.
- Al-Nahas, Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad. (1973). Explanation of the nine famous poems, T: Ahmad Khattab, (d. T) Freedom House for Printing, Baghdad.

- Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hassan bin Rashid. (1981). Al-Umda in the Beauties of Poetry, Literature and Criticism, T: Muhammad Mohi El-Din Abdel-Hamid, Fifth Edition, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon.
- Al-Qurashi, Abu Zaid Muhammad bin Khattab. (1981). The collection of Arab poetry in pre-Islamic times and Islam; D: Ali Muhammad Al-Bejaoui, (d. T), The Renaissance of Egypt.
- Al-Sandoubi, Hassan, and Niemna, Osama Salah El-Din. (1990). Explanation of the poetry of Imra 'al-Qais, followed by news and poetry of al-Muraqasa, and news of geniuses and their effects on ignorance and early Islam First edition, House of Science Revival, Beirut.
- Al-Shanqeeti, Sheikh Ahmed Al-Amin. (2005). The Ten Al-Muallaqaat and the news of its poets, T.: Muhammad Abd al-Qadir al-Fadili, (d. T), the Modern Library, Saida, Beirut.
- Al-Suyuti, the scholar Abd al-Rahman Jalal al-Din. (Dt). Al-Mizhar in the Sciences of Language and Its Types, T: Muhammad Ahmad Gad Al-Mawla, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and Muhammad Ali Al-Bajawi, Third Edition, Dar Al-Turath, Cairo.
- Al-Tabrizi, Abu Zakaria Yahya bin Ali bin Muhammad bin al-Hassan bin Muhammad bin Musa al-Shaibani. (Dt). Explanation of the Ten Poems, T: Muhammad Mohi El Din Abdel Hamid, (d. D) Muhammad Ali Subaih and Sons Library, Egypt.

- Al-Zawzni, Judge Abu Abdullah Al-Hussein Bin Ahmed. (2004). Explanation of the Seven Mu'allaqat, presented by: Abd al-Rahman al-Mistawi, second edition, Dar al-Marifa, Beirut, Lebanon.
- Bin Ayoub, the Minister Abu Bakr bin Asim. (1906). Explanation of the poet's chief poet Abi Al-Harath, famous for Al-Qais Ibn Hajar Al-Kindi, (d. T), The Indian Press, Egypt.
- Fox, Imam Abu al-Abbas Ahmad bin Yahya bin Zaid al-Shaibani. (1964). Explanation of the Diwan of Zuhair bin Abi Salma, (d. I) The General Book Authority, Cairo, 1964.
- Fur, Abu Zakaria Yahya bin Ziyad. (1983). The Meanings of the Qur'an, Third Edition, The World of Books, Beirut.
- Hassan, Dr. Azza. (1960). Divan of Bishr bin Abi Khazim Al-Asadi, (d. T), publications of the Directorate of Revival of the Ancient Heritage, Damascus.
- Hussein, Dr. Mohammed. (Dt). The Great Divan of Al-Ashah, Maymoun bin Qais, (d. I) The Arts Library in Jamm.
- Ibn Qutaybah. (Dt). Interpretation of the problem of the Qur'an, explanation: Mr. Ahmad Saqr, (d. T), the scientific library.
- Ibrahim, Muhammad Abu Al-Fadl. (Dt). Diwan of Imur al-Qais, fourth edition, Dar al-Maarif, Cairo.
- I'm perspective. (1999). Lisan Al Arab, T.: Amin Muhammad Abdel Wahhab and Muhammad Al-Sadiq Al-Obeidi, third edition, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon.